نظرية المعرفة عند أبن رشد

دراسة وتحليل

مقدم من أ.د

محمد حسينى موسى محمد الغزالى

بسم الله الرحمن الرحيم

مُقَدِّمَة

الحمد لله الذى خلق فسوى ، وقدر فهدى والصلاة والسلام على النبى المجتبى سيدنا محمد ﷺ نور الهدى وآله وأصحابه ومن تبعه واهتدى

أما بعد

فقد أطلقت لفظة المعرفة ولفظة االعلم على معنى يكاد أن يكون واحدا، فهما تطلقان على المباحث العامة والخاصة التى تعنى بطرق تحصيل العلم وكسب المعرفة، وتهتم بابراز الوسائل المفيدة فى تحقيق العلم وكسب المعرفة وكذلك تطلقان على سائر الدراسات التى تتعلق بمادة العلم الانسانى على العموم.

بيد أن أغلب الدراسات تطلق على هذه وتلك اسم "نظرية المعرفة" ويبذلون فى ذلك سبلا شتى فيقصدون تعريفها، وبيان مصادرها، وتقسيم موضوعاتها، بل وتقسيمها بين معرفة الهية وأخرى انسانية ثم بيان وسائل تلك المعرفة، ومناهجها، وطبيعة كل منهج وحدوده ثم الإنتهاء بعد ذلك كله إلى بيان الهدف منها جميعا.

من هنا نشطت الدراسات العلمية فى القديم والحديث، والشرق والغرب على السواء بقصد تحديد الموضوع وبيان أسسه وأول من رمى فيه بسهم أو رسم فيه بخط، وحاول البعض إصدار أحكام ظهر فيها من التسرع أكثر مما فيها من الثبت، ومعها من القلق والإضطراب أكثر مما تحوى من الإستقراروالهدوء بل وصل الأمر بالبعض من خلال نظرة تعصبية إلى محاولة إقامة دعاوى فضفاضة على أدلة جدلية لاتقوم على قدم ولا تحمل على ساق. وتلخصت أغلب أحكامهم أو إنحصرت فى أن المعرفة الانسانية بكل ما فيها من أبحاث تحمل من الدقة والانسجام، لامكان للعرب فيها عامة ولا للمسلمين، خاصة سواء كان المسلمون من جنس الفلاسفة أو المتكلمين أو من أكابر العلماء أو الباحثين، وإنما حاول كل منهم أن يطوى المعرفة فى صفحات بحوث أخرى حتى أن الكندى جعلها فى إطار دراسة النفس، والفارابى وابن سينا جعلاها فى ثنايا أبحاث المنطق لينتهوا إلى أن "جون لوك" هو المؤسس الحقيقى لنظرية المعرفة وأنه هو الذى وضع هذا البحث فى صورة العلم المستقل خصوصا بعد أن نشر كتابه "مقالة فى التفكير الإنسانى عام ١٦٩٠ الذى يعد من أول البحوث العلمية فى الحديث التى تحدثت عن:

١- أصل المعرفة وما هيتها. ٢- أهميتها والهدف منها.

٣- منابع تلك المعرفة. ٤- درجات اليقين فيها.

ويمثل هذا الرأى "أزفولد كوبله" [1] ويشايعه عدد من الباحثين المعاصرين أمثاله فى الرأى من أساتذة الفلسفة المعاصرين فى مصر على الخصوص [2] إلا أن هذا الرأى وإن إعتمد على ظواهر شبه فإنها لاترقى

---

[1] كوبله: المدخل إلى الفلسفة ص ٣٨.

[2] د/ يوسف كرم وكتابه تاريخ الفسفة الحديثة، الدكتور الشنيطى ونظرية المعرفة، الدكتور/ زكى نجيب محمود المعرفة، وكذلك ول ديورانت وجون لوبس وآخرون.

حتى تصير دليلا لهم أو حجة على غيرهم بل العكس من ذلك تماما فقد ظهرت الدراسات العديدة الفلسفية والأصولية والكلامية عند المسلمين من أول عهد التفكير العلمى الفلسفى أو الأصولى، بل إن اللغة العربية قد حفلت بالكثير من الحديث عن المعرفة فى كافة نواحيها، ودرجاتها، وكان المسلمون إليها أسبق من غيرهم بمراحل عديدة، كما أنهم بحثوا فى كل جوانبها وعالجوها كنظرية ومشكلة. تحتاج الى حل

بل إن البعض تغنى بها قديما، وجعلها فى صورة قضايا فكرية حتى تصور نوعا من الخلاف بينها وبين العقل يحتاج إلى حل حاسم وكأنه قضية طويلة الزمن تليدة فى الخلاف فها هو يقسم العقل إلى ثلاثة أوجه وكلها تؤدى إلى المعرفة:

١- عقل مولود مطبوع

وهو عقل بنى آدم الذى فضل به على أهل الأرض وهو محل التكليف والأمر والنهى وبه يكون التدبير والتمييز.

٢- العقل الثانى: هو عقل التأييد:

وهو الذى يكون مع الإيمان معا، وهو عقل الأنبياء والصديقين، وذلك تفضل من الله تعالى.

٣- العقل الثالث: وهو عقل التجارب والعبر:

وهو ما يأخذه الناس بعضهم عن بعض، ومن هذا قول من قال "ملاقاة الناس تلقيح العقول" وقال بعض أهل المعرفة مقدار العقل فى المعرفة كمقدار الأبرة عند ديباج أوخز فإنه لايمكن لبس ديباج ولا خز إلا

أن يخاط بالأبرة فإذا خيط بالأبرة فلا حاجة بها- إلى الأبرة كذلك تنضبط المعرفة بالعقل، لا أن المعرفة تحصل من العقل أو تثبت فيه" [١] إذن علماء المسلمين قد بحثوا فى المعرفة وكتبوا عنها بحوثا مستقلة، وذكروا لها أحكاما عديدة، لاتخلو من جدة وطرافة، وأطرف ما ذكر منها هذا المثال المعبر يقول القائل:

علم العليم وعقل العاقل اختلفا ... من ذا الذى منهما قد أحرز الشرفا

فالعلم قال أنا أحرزت غايته ... والعقل قال: بى الرحمن قد عرفا

فكشف العلم عن بعض محاسنه ... وقال بأينا الرحمن فى قرانه إتصفا

فبان للعقل أن العلم سيده ... فقبل العقل راس العلم إنصرفا[٢]

كما أنهم فرقوا بشكل قاطع بين المعرفة العامية التى تعتمد على ملاحظات الحس وتصور الخيال والتى هى قاسم مشترك بين عامة أفراد البشر والتى تمثل أدنى درجات المعرفة من حيث البساطة وعدم اليقين وبين تلك الأخرى التى يمكن تسميتها بالمعرفة العلمية الخاصة بطائفة العلماء والحكماء، وهى معرفة علمية لأنها تقوم على الملاحظة الدقيقة والبراهين العقلية التى لايجحدها الا مكابر أو جاهل لأنها تمثل معرفة علمية فيها من الثبات ما يجعلها مفيدة فى تقدم العلوم وتطورها، كما أنها مفيدة فى إصدار الأحكام الفقهية على عامة الناس من خلال قضايا تعرض فيما يتعلق بأفراد فيؤخذ منها حكم كلى ينطبق على جماعات كثيرة.

---

[١] الإمام جلال الدين السيوطى: صون المنطق والكلام عن فنى المنطق والكلام جـ١، ص ٢٣٥ تحقيق د/ على سامى النشار، السيدة سعاد على عبد الرازق سلسلة إحياء التراث الإسلامى.

[٢] الإمام السيوطى: الأشباه والنظائر فى فروع فقه الشافعية ص٣٥٠.

كما أنهم فرقوا بين هذه وتلك التى تنشأ عن مزيد من التأمل وكثير من العبادة، التى تمثل لأهل الكشف فتحا، وهى المعرفة الكشفية والتى عبر عنها ابن مسعود حين قال "ليس العلم بكثرة الرواية، إنما هو نور يقذفه الله فى القلب" [1] ولعل الإمام القشيرى كان يعبر عن المعرفة بالعلم والعلم بالمعرفة على مقصوده من العلم اللدنى والمعرفة الكشفية فتراه يقول "المعرفة على لسان العلماء هى العلم، فكل علم معرفة وكل معرفة علم، وكل عالم بالله تعالى عارف، وكل عارف عالم" [2] ثم ان "المعرفة هبة وعيان بصير" [3].

إذن منكر أن علماء المسلمين كان لهم دور بارز فى تكوين المعارف الإنسانية أو حصاد قيم فى نظرية المعرفة ذاتها هو واحد من أثنين:

١- إما جاهل بما لهم من آثار علمية فيما يتعلق بتلك التى هى محل النزاع -نظرية المعرفة- وهذا لايعذر لأن الأبحاث العلمية تنشر فى كل مكان، وتباع بسعر زهيد، وتطوف أرجاء المعمورة فى وقت قليل جدا وبالتالى فلا يقبل منه الجهل كما لايعذر به.

٢-إما كاره مذم يعيش فى حناياه مرض الكبر، وسرطان التعصب، وتنطوى نفسه على كفر صراح، وكذب بواح، فهذا لايسمع له لأن العدو دائما حكمه مرفوض طالما لم يقدم أدلة تسند حجته أو منطقا مقبولا يشفع له، ومثل هذين لاتقبل منهم نتيجة ولا يشفع لهم شافع.

أما رأى المنصف الذى يقدم قضيته مستندة إلى منطق سليم ونتائج مقبولة فهو مابين أيدينا من نصوص وما حولنا من قضايا وتراث ماتزال البشرية تفاخر به وتزهو، ويمثل ثروة هائلة من إنتاج المسلمين الفكرى

---

[1] مفتاح السعادة جـ ٢ ص ٢١٩

[2] الإمام القشيرى الرسالة القشيرية ص ١٥٣.

[3] ابن القيم مدارج السالكين جـ٣ ص ١٦٥.

ويكشف الباحثون النقاب عنه يوما بعد يوم بما يبرز للمسلمين من عظمة ويثبت لهم من إبتكار وجدة.

وابن رشد الأندلسى فيلسوف قرطبة وقاضيها، وأحد من أولئك الذين إستفاد منهم الغرب والشرق على السواء، فيما يتعلق به فى الفيزياء، أو الميتافيزيقا، أو العلوم الطبية، كما لايمكن لباحث أن ينكر جهده فى ميدان أصول الفقه الذى ترك لنا فيه " بداية المجتهد ونهاية المقتصد".

ولئن كان أبو الوليد قد غادر عالم الحياة الساخرة إلى عالم البقاء الأبدى، فإن تراثه الفكرى مايزال بيننا يشهد للرجل بأنه سبق عصره بل والعصور التى تلته، وترك للناس من بعده مجهودا كبيرا فى نظرية المعرفة الإنسانية كما ترك غيرها فى الكثير من فروع العلم المختلفة، وكانت له اليد الطولى.

ولما كانت هذه الدراسة عن نظرية المعرفة عند أبن رشد، دراسة وتحليل خصصتها للمعرفة عنده دون زيادة إلا ماتقتضيه ضرورة البحث العلمى من تأصيل الفكرة والعودة بها إلى منابعها الأصيله وهذا ماقمت عليه فى هذا البحث، فإن أكن وفقت فمن الله، وما توفيقى إلا بالله، وإن تكن الثانية فحسبى أنها عجالة ساقت إليها الأقدارعلى أمل أن أصلح ما فاتنى، إن أمد الله فى العمر، وبسط الرزق، وهو حسبى ونعم الوكيل، عليه توكلت وهو رب العرش العظيم.

فى غزالة الخيس الزقازيق شرقية
مطالع شهر الله المحرم ١٤١٧ هـ

الفصل الاول

ماهى المعرفة

إختلف الباحثون فى تحديد معنى المعرفة، تبعا لإختلافهم فى موضوع البحث الذى يريدونه، فمنهم من اعتبرها مرادفة للعلم، ومنهم من جعلها أعم منه وأشمل، ومنهم من اعتبرها أخص منه وأقل، مما يجعلنا نفحص عنها فى اللغة لأن المناطقة مثلا يقررون مرادفة العلم للمعرفة وإن العلم "يراد به مايرادف فى المعرفة" [1]

قال الجرجانى:

المعرفة: ماوضع ليدل على شىء بعينه، وهى المضمرات والأعلام والمبهمات وماعرف باللام، والمضاف إلى أحدهما، والمعرفة أيضا إدراك الشىء على ماهو عليه وهى مسبوقة بجهل بخلاف العلم ، ولذلك يسمى الحق تعالى بالعالم دون العارف" [2] وبالتالى فإن: العلم أشمل من المعرفة وليس العكس.

وقال الزمخشرى:

المعرفة بالفتح الهامة وعن سعيد بن جبير قال : ما أكلت لحما أطيب من معرفة البرذون"[3] وهى بالفتح تعنى المودة والمشاعر الداخلية

---

[1] د./ محمد شمس الدين إبراهيم تيسير القواعد المنطقية شرح الرسالة الشمسية ط.٣ جـ١ص٧ مطبعة دار التأليف.

[2] السيد الشريف على بن محمد الجرحانى التعريفات طبعة الحلبى ص ١٩٧.

[3] الامام الزمخشرى أساس البلاغة جـ٣ ص ٢٩٩ ط. بيروت دار المعرفة.

وفيه قولهم "هاجت معارف فلان أى موداته التى كنت أعرفها كما يهيج الزرع

= وتطلق كذلك على تغطية الرأس خوفا من شر قادم، أو بعد موت صاحبها أو خشية أن تصله آثام الناس، ومنه يقال للقوم إذا تلثموا غطوا معارفهم. ومنه قول ذى الرمة فى وصف ريح عاتية لايتمكنون من دفع شرها، رغم أنها تعتدى عليهم وتلوث فيهم من كل ناحية، سواء من الرأس أو العين والمحاجر والآفاق فيقول :

تلوث على معارفنا وترمى محجرنا شامية سموم [١]

وقال الشاعر الملقب بالراعى: وهو يصف أنواء من شدتها إسترقت منهم الأسماع فلم يعد لأحدهم بد من الخضوع لها من رعشات متواليات تصيبيه خوف الهلاك فتنثنى لها الأوتار والجوايا فيقول:

متخمين على معارفنا نثنى لهن حواشي العصب[٢]

إذن المعرفة مشترك لفظي يفرق بين معانيه بالفتح أو الكسر لحرف الراء في معرفة ومعرفة.

ويفرق بين معانيه كذلك بحسب ما تقتضيه طرق الحديث لأن المشترك اللفظي يقال على أكثر من معنى عند المناطقة وعند النحاة أيضا، ثم إن المعرفة كما تطلق على المعاني تطلق كذلك على مكان تلقى العلم باعتباره ظرفا للمكان، وتطلق على الآلة التى بها يتعلم الانسان المعرفة إلى غير ذلك من الوجوه والاطلاقات.

---

[١] المصدر السابق ص٢٩٨ جـ٣.

[٢] المصدر السابق جـ ٣ ص ٢٩٨ تحقيق الاستاذ/ عبد الرحمن محمود.

وقال الفيروز ابادي:

عرفه يعرفه معرفة... علمه "وبالتالى فالمعرفة عنده العلم([1])، ولكن هذا الرأى أعنى مساواة العلم للمعرفة لم يقل به إلا نفر قليل من المناطفة على مامر ذكره والصواب أن العلم أشمل منها، وتطلق المعرفة على الشيء المحدد من كل ناحية ومنه قولهم "أمرأة حسنة المعارف أى الوجه وما يظهر منها" ([2]) وهكذا تنطلق الألفاظ لتؤكد لنا أن المعرفة ضد الجهل وأنها كالعلم فى تضادهما معا للجهل، بيد أنهما -العلم والمعرفة- يتواردان على محل واحد عند الانفراد وإن كان لفظ العلم أشمل من لفظ المعرفة.

ثم إن المعرفة ومشتقاتها جاء ذكرها فى القرآن الكريم وفى السنة المطهرة، كما جاء مرادفها وهو العلم بمشتقاته كذلك، وقد افاضت آيات الذكر الحكيم والسنة النبوية فى بيان هذه ومشتقات تلك بحيث لم تترك ثغرة لباحث، من ذلك قوله تعالى عن المعرفة ومشتقاتها : فدخلوا عليه فعرفهم وهم له منكرون([3]) .

وقوله تعالى : ﴿ ترى أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق ﴾ ([4])

وقوله تعالى : ﴿ وقل الحمد لله سيريكم آياته فتعرفونها" ﴾ ([5]).

وقوله تعالى : ﴿ الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم ﴾ ([6])

---

[1] القاموس المحيط جـ٣ ص ١٧٨ دار الجيل بيروت.

[2] المصدر السابق جـ٣ ص ١٨٠.

[3] سورة يوسف الآية ٥٨

[4] سورة المائدة الآية ٨٣.

[5] سورة النمل الآية ٩٣.

[6] سورة البقرة الآية ١٤٦ وسورة الأنعام الآية ٣٠.

وقوله تعالـــــى : ﴿ ياأيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير ﴾[1] .

والمعرفة اسم يأتى منه الفعل والفاعل وسائر المشتقات الأخرى لذا فهو غنى بتعاريفه ثرى بمضامينهن وبالتالى فقد تأكد لنا أن المعرفة هى :
العلم بالشيء مع الإحاطة به والإدراك لكافة جوانبه ويؤيد هذا الإستنتاج القول المأثور "من عرف نفسه عرف ربه" ويشهد لذلك أيضا ما قيل على السنة الصوفية" من ذاق عرف"، ومن حرم إنحرف"
وكما جاء ذكرها فى القرآن الكريم جاء كذلك فى السنة النبوية المطهرة فقد ورد فى الأثر إن رجلا جاء إلى النبى صلى الله عليه وسلم وقال يارسول الله علمنى غرائب العلم، قال ﷺ له - هل عرفت سنام العلم ورأسنه؟ قال الرجل: ومارأس العلم وسنامه يارسول الله؟ قال ﷺ ، هل عرفت الله [2]من هنا فقد بان لنا أن المعرفة من حيث هى اسم له مشتقاته ورد ذكرها فى القرآن الكريم والسنة المطهرة، كما وردت فى معاجم العرب وإصطلاحاتهم وأن تعدد مشتقاتها وكثرة مسمياتها إنما تدل على أن لها أصلا فى اللغة العربية يؤدى إلى إحترامها وإستقلالها وبيان أهميتها ومكانتها فى الأبحاث العلمية. فما هى مصادر المعرفة؟.

---

[1] سورة الحجرات الآية ١٣.

[2] تنزيه الشريعة المرفوعة جـ١ ص٢٧٧، إحياء علوم الدين جـ١ ص ١٠٩ ط. الشعب.

الفصل الثانى

مصادر المعرفة

تعددت مصادر المعرفة الانسانية وتنوعت، بحيث صارت من المعالم الرئيسية للمعرفة الانسانية، فمرة يكون مصدرها الحس وحده، سواء كان ظاهرا أو حسا باطنا، وقد أشار القرآن الكريم إلى ذلك المصدر فقال تعالى : والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لاتعلمون شيئا وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة لعلكم تشكرون" [(١)] وقوله تعالى: "

﴿ ولاتقف ماليس لك به علم إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا ﴾ [(٢)].

ومرة يكون مصدرها العقل والمفاهيم العقلية التى لاتأتى عن طريق الحواس إنما مصدرها العقل الراجح، والفكر النير، والفهم السليم ولذا نرى القرآن الكريم يذكر الفؤاد بعد السابقين من الحواس فيقول جل وعلا "إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا" وقوله تعالى: "وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة لعلكم تشكرون".

ولما كان العقل الهاما إلهيا ونورا فطريا قال الله تعالى: "

﴿إن فى خلق السماوات والأرض وإختلاف الليل والنهار لآيات لأولى الألباب" ﴾ [(٣)] وقال

جل وعلا: ﴿ **لأولى الأبصار**﴾ وقال تعالى: ﴿ **لقوم يعقلون**﴾ وقال

---

[١] سورة النحل الآية ٧٨.

[٢] سورة الإسراء الآية ٣٦.

[٣] سورة آل عمران الآية ١٩٠.

تعالى : ﴿ **لآيات العالمين** ﴾ . ومرة يكون المصدر هو الوجدان النقى والقلب السليم فيقول ربنا فى الحديث القدسى المشهور: "**ماوسعتنى أرضى ولا سمائى ولكن وسعنى قلب عبدى المؤمن**" [١] وقد يأتى ذلك كله إلى النفس البشرية فتعى علما كثيرا وتحفظ معلومات أكثر دون مقدمات بل عن طريق الإلهام النورانى وهو المعبر عنه بالوحى الداخلى.

وهذا الإيحاء قاسم مشترك بين الانسان والحيوان، وبين أفراد النوع الواحد أيضا يشهد لذلك قوله جل وعلا ﴿ وأوحى ربك إلى النحل أن إتخذى من الجبال بيوتا ومن الشجر ومما يعرشون ﴾ [٢] والمراد من الوحى – هنا هو– الإلهام والهداية أى إلهمها مصالحها وأرشدها إلى بناء بيوتها المسدسة العجيبة تأوى إليها فى ثلاثة أمكنة: "الجبال والشجر والأكوار التى يبنيها الناس" [٣] اذن قد أكتسبت معرفة يقينية، عن طريق الإلهام الروحانى والهداية الربانية، ومثلها فى عالم الأنس كثيرون قد وقع لهم هذا الفيض الإلهى، وقصه القرآن الكريم علينا من ذلك :

١

٢ سورة النحل الآية ٦٨.الاتحافات السنية في الآحاديث القدسية

٣ الشيخ/ محمد على الصابونى صفوة التفاسير الجزء المسابع ص ١٣٣.

= أم موسى عليه السلام أوحى الله إليها :-

قال الله تعالى: ﴿ وأوحينا إلى أم موسى أن أرضعيه فإذا خفت عليه فألقيه في اليم ولاتخافي ولا تحزني إنا رادوه إليك وجاعلوه من المرسلين﴾ [1] فالوحى هنا علم لدنى قذفه الله "فى قلبها بواسطة الإلهام" قال ابن عباس هو وحى إلهام، وقال مقاتل: أخبرها جبريل بذلك، قال القرطبى فعلى قول مقاتل، هو وحى إعلام لاإلهام، وأجمع الكل على أنها لم تكن نبية[2] ولكنه الإلهام الإلهى الذى يوصل إلى المعرفة الصادقة ويكونها حتى صار بحق مصدرا من مصادرها الأساسية.

وكثير من هذه المعرفة الإلهامية والعلم اللدنى جاء ذكره فى القرآن الكريم وكتب السنة الصحيحة بل وكتب القصص والآثار الإسلامية والسير والتراجم والأداب الصوفية مما يجعلنا نترك عدة ونكتفى بذكر أثره ونردد قوله تعالى **"وقل رب زدنى علما** " [3]

ثم يأتى المصدر الرابع من مصادر المعرفة هو النص المنزل، الذى يحدثنا عن أخبار المسابقين وقصص الماضين ومستقبل الأمم القادمين، وأحوال ماخفى علينا، وما غاب عن حسنا وعواطفنا والمشاعر، والحديث عن اليوم الآخر بكل مافيه، ولاشيء يمكن أن يقدم لنا ذلك اللون من المعرفة إلا النص المنزل من لدن حكيم خبير، والذى تكشف الأبحاث العلمية الدقيقة عن بعض فضله وبيان عظمته فى خلقه وصدق أخباره عن الأحداث الحاضرة والمستقبلة، وقد جاء هذا اللون فى القرآن الكريم مباشرة

---

[1] سورة القصص الآية ٧.

[2] صفوة التفاسير جـ١١ ص ٤٢٥.

[3] سورة طه الآية ١١٤.

من ذلك قوله تعالى "﴿ نحن نقص عليك أحسن القصص بما أوحينا إليك هذا القرآن وإن كنت من قبله لمن الغافلين ﴾ [١].

فإلى أى هذه المصادر يميل ابن رشد وعلى أيها يعتمد أبو الوليد؟ الجواب: أن ابن رشد يميل إليها جميعا ويتمسك بها لكن لاتسليم المقلد، وإنما تفكير العالم الباحث المدقق وإن كانت المصادر العقلية تنال منه النصيب الأوفى.

لذلك تراه يقرر رأيه فى مصادر المعرفة وأنها:

١-**النظر** " فيقول: "إن كان فعل الفلسفة ليس شيئا أكثر من النظرفى الموجودات وإعتبارها من جهة دلالتها على الصانع، أعنى من جهة ما هى مصنوعات فإن الموجودات إنما تدل على الصانع بمعرفة صنعتها، وأنه كلما كانت المعرفة بصنعتها أتم، كانت المعرفة بالصانع أتم[٢] .

ثم النظر العقلى قد حث عليه القرآن الكريم فقال تعالى: ﴿ **فاعتبروا ياأولى الأبصار** ﴾ [٣] وسماه أبو الوليد القياس العقلى ، وأكد على أن هذه الآيات وأمثالها إنما هى "نص على وجوب إستعمال القياس

---

[١] سورة يوسف الآية ٣.

[٢] فصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة من الإتصال ص ٢٢ تحقيق د/ محمود عماره ط. دار المعارف بالقاهرة.

[٣] سورة الحشر الآية ٢.

العقلـــى أو العقلـــى والشـــرعى معـــا"[1] ويشـــهد لذلـــك قولـــه تعـــالى:
﴿أو لم ينظروا فى ملكوت السماوات والأرض وما خلق الله من شىء وأن عسى أن يكون قد أقترب أجلهم فبأى حديث بعد الله وأياتهن يؤمنون﴾ [2].

٣-التفكير العقلى المستقل "التأمل":

لذلك نراه يقول "فواجب أن نجعل نظرنا فى الموجودات بالقياس العقلى " [3] القائم على التأمل العقلى وعمليات التفلسف التى تعتمد على ربــط الأشــياء بعضهــا ببعــض يشــهد لذلــك قــول اللـــه تعـــالى: " ﴿إن فى خلق السماوات والأرض وإختلاف الليل والنهار لآيات لأولى الألباب الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ويتفكرون فى خلق السماوات والأرض ربنا ماخلقت هذا باطلا سبحانك فقنا عذاب النار﴾ [4].

ثم إن أبا الوليد يفرق بين نوعين من المعرفة العقلية، أعنى بهما التفكير العقلىالكسبى القائم على إكتساب المعلومات لان المطلوب، "لمن أراد أن يعلم الله تبارك وتعالى، وسائر الموجودات بالبرهان أن يتقدم أولا فيعلم أنواع البراهين وشروطها، وبماذا يخالف

---

[1] فصل المقال تحقيق الاستاذ/ مصطفى عبد الجواد عمران ص ٩.

[2] سورة الإعراف الآية ١٨٥.

[3] فصل المقال ص ٢٣ تحقيق دم محمد عماره.

[4] سورة آل عمران الآيتان ١٩١/١٩٠.

القيـاس البرهـانى القيـاس الجدلـى، والقيـاس الخطـابى، والقيـاس المغالطى[١].

٣ – إكتساب طرق المعرفة

يطالب أبو الوليد كل من يحب أن يتفلسف أو أن يتمثل أمر الله بالنظر فى الموجودات "أن يتقدم قبل النظـر فيعرف هذه الأشياء التى تتنزل من النظر منزلة الآلات من العمل ... حتى أنه يجب على العارف أن يستنبط من الأمر بالنظر فى الموجودات وجوب معرفة القياس العقلى وأنواعه، بل هو أحرى بذلك" [٢] لأن معرفة تلك الآلات يسهل معرفة الأمور الدقيقة، ويجعل المعرفة بها أمرا ميسورا سواء كانت معرفة إستقرائية أو إستنباطية أو إستدلالية ولو أقتضى الأمر إستعانة المتأخر بما تركه المتقدم عليه من معرفة وآلات ومناهج لأن هذا باب أكيد يؤدى إلى معرفة الله تعالى حق المعرفة.

٤– مخاطبة الناس على قدر أفهامهم:

فإن مخاطبة الناس لون من ألوان كسب المعرفة فإذا خوطب الناس على قدر أفهامهم نالهم منه الخير الكثير، ولعل هذا ماعناه الرسول الكريم بقوله "خاطبوا الناس على قدر عقولهم أتريدون أن يكذب الله ورسوله" لذا ترى أبا الوليد يقسم الناس إلى مراتب فى الفهم وهو طريق تحصيل المعرفة فيقول:

طباع الناس متفاضلة فى التصديق، فمنهم من يصدق بالبرهان، و منهم من يصدق بالأقاويل الجدلية تصديق صاحب

[١] فصل المقال ص ٢٤ تحقيق د/ محمد عماره.

[٢] المصدر السابق ص ٥٤.

البرهان، إذ ليس فى طباعه أكثر من ذلك ومنهم من يصدق بالأقاويل الخطابية كتصديق صاحب البرهان بالأقاويل البرهانية [1] ويشهد لذلك عنده قول الله تعالى " أدع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتى هى أحسن إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين" [2] .

موقف ابن رشد من المعرفة الحسية

سلف أن أكدنا على وجود مصادر عديدة للمعرفة، وأنها ترجع فيما بينها على العموم إلى أنواع أربعة هى:

١- المصدر الحسى. ٢- المصدر العقلى.

٣- المصدر الإلهامى. ٤- النص المنزل.

وقد غلب على أكثر الباحثين نوع من القلق حاول أن يفرض ذاته على أبحاثهم فتراهم يعلنون مسبقا أن هذا الفيلسوف صاحب فلسفة حسية وذاك عقلية إلى غير ذلك دون أن يكون معهم دليل قويم يؤكد ماذهبوا إليه، فإذا ماراجعوا قراراتهم بعد الدراسة المتأنية تحيروا فيما أصدروه من قبل وتقع عليهم القضايا الفكرية دون مقدمات.

أما نحن فلن نقرر سلفا أمرا على الرجل وإنما سنعمل على أن تنطق نصوصه أولا ثم ندلى بما فهمناه من نصوصه ثانيا، فإن كانت

[1] فصل المقال ص ٣١.

[2] سورة النحل ١٢٥.

المصادر هى الحس وحده قلنا به وإن كانت غير ذلك رجعنا إليه وقررناه وأكدنا عليه.

من ثم فإنا نرى أن ابن رشد قد إعترف بالحس وجعله مصدرا من مصادر المعرفة، بل درجة من درجاتها وأنه مرحلة أولية تعقبها مرحلة التأكيد عليها حيث يتم القياس العقلى وإستنباط المجهول من المعلوم تنفيذا لأمر الشرع.

"ومما يسترعى الإنتباه، بل مما هو جدير بالتقدير فى هذا الموقف هو صعود فيلسوفنا بالباحث على درجات المعرفة فى أناة وتؤده ومروره ، بوسائلها الضرورية مرورا طبيعيا ليس فيه قفز ولا وثوب" [1] بل إن ابن رشد بهذا المنهج القائم على الترقى هو نفسه المنهج الذى قام عليه ديكارت أبو الفلسفة الحديثة من بعده فى قاعدة الوضوح واليقين والتى قرر فيها قوله: ألا أقبل شيئا على أنه حق مالم أعرف يقينا أنه كذلك، بمعنى أن أتجنب بعناية التهور والسبق إلى الحكم قبل النظر، وألا أدخل فى أحكامى إلاما يتمثل أمام عقلى فى جلاء وتميز، بحث لايكون لدى أى مجال لوضعه موضع الشك" [2].

بل إنه مما تجدر الإشارة إليه هو أن إستقراء ابن رشد بعينه قد إستفاد منه ديكارت وأثبته كقاعدة عامة أساسية فى فلسفته سماها قاعدة الإستقراء التام أو الإحصاء والتحقيق" وهى "أن أعمل فى كل الأحوال من الإحصاءات الكاملة والمراجعات الشاملة ما يجعلنى على ثقة من أنى لم

---

[1] د/ محمد غلاب المعرفة عند مفكرى المسلمين ص ٣١٠.

[2] رينيه ديكارت مقال عن المنهج ص ٢٤٢ ترجمة الاستاذ/ محمود الخضيرى الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة ١٩٨٥م.

أغفل شيئا [١] وبالتالى يكون ابن رشد قد إعترف بالمعرفة الحسية وجعلها وسيلة للتى بعدها وأعنى بها المعرفة العقلية.

ثم إن ابن رشد فيلسوف يعترف بوسائل المعرفة ويعتبرها ضرورية لها، ويخص فيها القانون العقلى الذى تعصم مراعاته الذهن على الخطأ فى الفكر ولذا نراه يقرر "أن معرفة مبدع الكون عن طريق التقليد من خصائص العامة، وأنها لاقيمة لها لدى الصفوة الممتازة التى إنتقتها السماء لتكون مواطن الحكمة، أو لتؤدى رسالة كشف الحجب الكونية عما وراءها من أنوار باهرة وأسرار ساحرة" [٢] وقد كان سنده فى كل ذلك نصوص من الشرع الشريف قرآن كريم أو سنة نبوية مطهرة.

٢- المعرفة العقلية :

واضح من نصوص ابن رشد حبه الشديد للمعرفة العقلية وإيمانه المطلق بقيمتها وإستخدامه البرهان بغية الوصول إليها، ولذا يضرب الأمثال فى المعرفة العقلية مرة بإستخدام القياس الفقهى، وأخرى بإستعمال البراهين، وثالثة بالقياس المنطقى، ثم يؤكد على القياس العقلى وأن "معرفة العقلى أحرى بذلك من الفقهى وغيره، بل ويستعين على ذلك الغرض بما سبق من كتب القدماء "فإن كان كله صوابا قبلناه منهم، وإن كان فيه ماليس بصواب نبهنا عليه" [٣].

وابن رشد يقسم الناس إلى درجات فى المعرفة العقلية فيقول "إن طباع الناس متفاضلة فى التصديق فمنهم من يصدق بالبرهان، ومنهم من

---

[١] مقال عن المنهج ص ١٤٥.

[٢] د/ محمد غلاب المعرفة عند مفكرى المسلمين ص ٣٠٦.

[٣] فصل المقال ص ٥.

يصدق بالأقاويل الجدلية تصديق صاحب البرهان، إذ ليس فى طباعه أكثر من ذلك، ومنهم من يصدق بالأقوال الخطابية كتصديق صاحب البرهان بالأقوال البرهانية، ولما كانت شريعتنا هذه الإلهية قد دعت الناس من هذه الطرق الثلاث ، عم التصديق بها كل إنسان إلا من يجحدها عنادا بلسانه، أو لم تتقرر عنده طرق الدعاء فيها إلى الله لإغفاله ذلك من نفسه ولذلك خص عليه السلام بالبعث إلى الأحمر والأسود، أعنى لتضمن شريعته طرق الدعاء إلى الله تعالى وذلك صريح فى قوله تعالى "أدع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتى هى أحسن" [١] وإذا كانت هذه الشرائع حقا، وداعية إلى النظر المؤدى إلى الحق فإنا معشر المسلمين نعلم على القطع أنه لايؤدى النظر البرهانى إلى مخالفة ماورد به الشرع فإن الحق لايضاد الحق بل يوافقه ويشهد له"[٢].

إذن ابن رشد يعتد بالمعرفة العقلية ويؤمن بها ويستوفى طلبها ويستخرج من النصوص القرآنية ما يشهد لها ويحشد لها من الآيات القرآنية الكثير، مما يدل بوضوح على أن ابن رشد أحيا تلك المعرفة متخذا توجيها له من النص الشريف أعنى به القرآن والسنة المطهرة.

وابن رشد فى النص السابق قد وضح "الحكمة التى تراعيها الأديان فى تنويع الخطاب، وتنويع وسائل الإيضاح والبيان، مادام الناس أنفسهم ليسوا على حال واحدة تهيئهم لتلقى نوع واحد من أنواع الخطاب، وأسلوب واحد من أساليب الإيضاح والبيان" [٣].

---

١ سورة النحل الآية ١٢٥.

٢ فصل المقال ص ١٥ تحقيق الاستاذ/ مصطفى عبد الجواد عمران فى فلسفة ابن رشد.

٣ الدكتور/ سليمان دنيا- التفكير الفلسفى الإسلامى ص ٢٢٨ مكتبة الخانجى.

ومما يوحى بذكاء ابن رشد تحديده للمعرفة الانسانية العقلية وتأكيد ، على أنها ممكنة وأنها نسبية وموضوعية "إنها نسبية لأنهـا تتعلـق بتكويـن العقل الذى يفرض قوانينه على الأشياء، فلوأن هذا التكوين كـان علـى نحـو آخر لكان العلم أيضا على غير ماهو عليه، إذأ نحـن لانعـرف الأشـياء مـن حيث ذاتها بل نعرفها كما تتمثل فى عقولنا على صورة الأحداث

وهى موضوعية، لأن قوانين العقل هى المبادئ التى بفضلها كانت التجربة ممكنة، وهـى قوانيـن جميـع الأفكـار ولـها قيمـة عامـة، ومـن هـذه الوجهة كان العلم الذى تسمح به حقيقيا، لأن الحقيقة لايمكن أن تكون إتفـاق المعرفة مع الأشـياء التىلاتـدرك فـى ذاتهـا وإنمـا هـى إتفـاق المعرفـة مـع القوانين العامة للعقل[1] إذن هى معرفة عقلية تقوم علـى المدركـات العقليـة والمبادئ البرهانيـة والأقيسـة المنطقيـة والفقهيـة والعقليـة التـى ترقـى فـوق الحس ودرجاتها دائما يقينية وعامة وقابلـة للتطبيـق كمـا أنهـا مقيـاس ثـابت وحكم عـام خـالد أخبر بهـا القـرآن الكريـم وحدثـت عنهـا السـنة المطهـرة وأعترف بها العقل ونعم فى رحابها ابن رشد فيلسوف قرطبة.

٣- المعرفة القلبية :

لـم تذكـر الدراسـات التـى إطلعـت عليهـا أن ابـن رشـد إعـترف بالمعرفة القلبية التنسكية الإشراقية كما فهمها المتصوفة أو أصحاب التنسك وإنما فهم معرفة قلبية لدنية تأتى على قلب مـن يـرد اللـه أن يهديـه فتحولـه إلى طاقة أعلى من طاقـات قرنائـه، وقد سـاقه إلـى ذلـك الفهـم العديـد مـن

---

[1] الدكتور/ محمد غلاب -المعرفة عند مفكرى المسلمين ص ٦٨.

النصوص القرآنية من ذلك قوله تعالى ﴿ أفمن شرح الله صدره للإسلام فهوعلى نور من ربه﴾ [١] وقوله تعالى: ﴿ فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقا حرجا كأنما يصعد في السماء ﴾ [١].

وقد يشهد لذلك قوله تعالى فيما يتعلق بقصة موسى عليه السلام، والعبد الصالح الذى منحه الله العلم اللدنى "فوجدا عبدا من عبادنا أتيناه رحمة من عندنا وعلمناه من لدنا علما قال له موسى هل أتبعك على أن تعلمنى مما علمت رشدا قال إنك لن تستطيع معى صبرا وكيف تصبر على مالم تحط به خبرا" [٢] وبالتالى فقد أيقن ابن رشد بالمعرفة القلبية ولكنه جعلها فى أفراد قلائل هم الملهمون وتدخل معهم فى خوارق العادات، وكانت تلك المعرفة اللدنية فى أمه محمد ﷺ متحققة فى أمثال عمر بن الخطاب رضى الله عنه.

٤- النص المنزل: لايكاد الباحث يواصل قراءتة لكتب ابن رشد حتى يرى إيمانه بالنص المنزل واضحا فى كل ناحية من نواحى فكره أو فلسفته وتأكيده على أن النص المنزل قرأنا أو سنة -هو المصدر الأكيد من مصادر المعرفة والأكثر ثباتا ودقة "وليس فى المعرفة فقط بل فى كل المباحث الميتافيزيقية والفيزيقية والأحكام الأصولية على السواء.

---

[١] سورة الزمر الآية ٢٢.

[١] سورة الإنعام الآية ١٢٥.

[٢] سورة الكهف الآيات ٦٥-٦٨.

بيد أن تعويل ابن رشد على النص المنزل يؤكد لنا أن ديكارت فيلسوف أوربا قد إستفاد من ابن رشد حين إستبقى النص المنزل -عنده- بعيدا عن دائرة الشك، حيث إنه من مصدر موثق عنده، ولو بحثنا فى فلسفة ديكارت كما فعل المؤرخ التونسى عثمان الكعاك لادركنا أن ديكارت قد إستفاد كثيرا من الأبحاث الإسلامية على العموم وابن رشد والغزالى،على الخصوص فقد استفاء منهج الشك من الإمام الغزالى وأراد الله أن تظهر الحقيقة عندما وصل الكعاك إلى مكتبة ديكارت وعثر بين محتوياتها على ترجمة لكتاب المنقذ من الضلال للإمام الغزالى، وقد كتب ديكارت بخط أحمر على الهامش عند عبارة الغزالى "الشك أول مراتب اليقين" كتب ديكارت يوضع هذا فى منهجنا ولو أنصف لقال يوضع المنهج كله فى منهجنا" [١] كما إستفاد من ابن رشد إستثناء النص المنزل من دائرة الشك بإعتبار أن مصدره الوحى المعصوم وبالتالى فقد تأكد لنا أن ابن رشد سلم بالنص المنزل كمصدر أساسى للمعرفة الإنسانية. ولم يهمله لم يزعم من لمن يتعرف عن قرب – على فكر ابن الوليد أو كان ممن تقودهم أنفسهم لاصدار الاحكام دون اعادة النظر في الادلة وما اذا كانت شبها أو أدلة ٠ وهؤلاء لاقيمة لهم في البحث العلمى الذى يقوم على التأنى والتؤده والتخلى عن اصدار الأحكام المسبقة والتنزه عن الغرض وهم قليل في دنيا الناس

---

[١] د/ قنديل محمد قنديل -أساس التحسين والتقبيح لدى الإسلاميين، ومقارنته بمذهب كانت فى ص٢٦٧ دكتوراه مخطوطه بكلية أصول الدين.

الفصل الثالث

موضوعات المعرفة

تختلف موضوعات المعرفة عند الفلاسفة بإختلاف المدارس الفلسفية نفسها، فإن كانت فلسفة مادية إنحصر موضوع المعرفة فى العالم المحسوس عالم الوجود والمادة فقط، وإن كانت فلسفة روحية أو مثالية إنحصر موضوعها فى عالم الغيب، عالم الروح المخالف تماما لعالم الشهادة، وإذا كانت فلسفة وسطية وأعنى بها الفلسفة الإسلامية فإن موضوع المعرفة عندها ينحصر فى موضوعين أثنين.

الأول : عالم الوجود

وأعنى به عالم الشهادة، والذى يعتمد فى إثبات وجود الله تعالى على العقل السليم وحده، والعقل من عالم الوجود- أعنى عالم الشهادة.

الثانى : عالم الغيب

وأعنى به عالم الروحانيات والسمعيات كما يتعلق بصفات الله تعالى فهى قد نص عليها من خلال النص المنزل، ولأن النص المنزل من عالم الغيب الذى لايدركه العقل سميت لذلك سمعيات، وعالم الغيب.ويشمل السمعيات وما هو أعم منها أنه عالم الغيب بكل مافيه

إذن إثبات وجود الله تعالى طريقه العقل، وإثبات اليوم الآخر السمع وإثبات النبوات فما يتعلق بالمعجزة فأمر عقلى من عالم الوجود، وما يتعلق بإرسال الرسول فأمر غيبى من قبيل السمعيات التى لامجال للعقل أن حاول الخوض فيها.

ولقد عاشت تلك التقسيمات لموضوع الفلسفة عمرا طويلا وماتزال، وإن إختلفت أنظار الفلاسفة المسلمين أيضا إليها بإختلاف التأثر والتأثير الذى يترك أثره على هذا الفيلسوف أو ذاك مما يجعلنا نبحث عن موضوع المعرفة عند ابن رشد، وهل هو وجود الله أم عالم الغيب أو هما معا ؟ وهذا ماسنولى الحديث عنه أهمية بارزة فيما يلى:

أولا : يتفق الباحثون على أن ابن رشد قد بذل مجهودا عقليا للتوفيق بين الآراء الفلسفية وبين النصوص الدينية وبخاصة فى المسائل الثلاث اللاتى كن مثار جدل وخصومة بين الغزالى والفلاسفة وهى:

١- قدم العالم أو حدوثه. ٢-علم الله بالجزئيات
٣- البعث الجسمانى فى الاخرة.

وقد كان له مجهوده الفكرى الذى أحتل به مركز الصدارة بين فلاسفة المغرب والمشرق على السواء بل وبين فلاسفة الغرب الحديث والشرق المعاصر جميعا، وبات ذلك المجهود الفكرى أرضا خصبة يدافع عليها من يحب الفلاسفة ويدفع عنهم مغبة الكفر، وكانت نظرية المعرفة هى النبت الحقيقى لتلك الأرض الجديدة، والثمار الفجة لتلك الكواعب الناعمة التى خلفها لنا ابن رشد فى نظريته عن المعرفة، من خلال موضوعاتها فى عالمى الوجود -الشهادة- وعالم الغيب.

ثانيا : تمكن ابن رشد من القضايا الفلسفية كما إستجمع أطراف القضايا الأصولية وبات من المؤكد أنه سوف يبذل الجهد الكبر فى سبيل عملية شرح أرسطو وتوضيحه للناس حتى صار بحق الشارح الأكبر لارسطو كما كان الفارابى المعلم الثانى، غير أن ابن رشد هنا يجعل من نفسه جنديا يدافع عن عقيدة إخوانه من الفلاسفة المسلمين ويصون من خلفهم العرين، وذلك ماجعله يجد فى طلب المعرفة مع تحديد موضوعاتها فما هى تلك الموضوعات؟

الموضوع الأول عالم الوجود :

وأعنى به ماهو فى مستوى العقل البشرى.

"مثل مايدرك بالعقل وحده، وهو حقائق الأشياء وإستحالة المستحيلات وجواز الجائزات ووجوب الواجبات العقلية الضرورى منها والنظرى[١] وهذه الأشياء كلها فى مستوى العقل البشرى وإن كانت تلحقها بعض اللوازم الضرورية كالتأمل وإستخدام الحواس ومايتعلق منها بأمر عالم الشهادة.

وهذا العالم القائم على الشهادة هو الذى إستطاع ابن رشد أن ينتزع منه الأدلة على وجود الله أوقتبس منه دليل العناية ودليل الخلق والإختراع ولذا نراه يقول عن هذا الطريق إنه طريق القرآن الكريم والنصوص الشرعية لأن المرء إذا إستقرأ أيات القرآن وجدها "تنحصر فى جنسين أحدهما طريق الوقوف على العناية بالانسان وخلق جميع الموجودات من أجلها ولتسم هذه دليل العناية، والطريقة الثانية، مايظهر من إختراع جواهر الأشياء الموجودات مثل إختراع الحياة فى الجماد، والإدراكات الحسية والعقل ولتسم هذه دليل الإختراع" [٢]

ولاشك أن هذا الموضوع من المعرفة يدركه الخواص والعوام كل بحسب توفيق الله له وقدرته عليها ولذا قال ابن رشد عن هاتين الطريقتين

---

[١] الاستاذه الدكتوره/ فوقيه حسين محمود -مدخل إلى الفكر الإسلامى ص ٢٣٨/٢٣٧.

[٢] الكشف عن مناهج الأدلة فى عقائد الملة ص ٦٥ تحقيق الاستاذ/ مصطفى عبد الجواد عمران.

"إن هاتين الطريقتين هما بأعيانهما طريقة الخواص، وأعنى بالخواص العلماء وطريقة الجمهور، وإنما الإختلاف بين المعرفتين فى التفضيل"[١].

ومن ثم فإن عالم الوجود –الشهادة– قد إعترف به أبو الوليد وأكد عليه فى كثير من نصوصه التى حملها إلينا تهافت التهافت وفصل المقال، والكشف عن مناهج الأدلة بل والكتب الأصولية الفقهية من خلال قياساتها المنطقية. بما لايحتاج إلى مزيد بيان، وكانت تفرقة ابن رشد بين عالم الأمر وعالم الخلق فيما يتعلق بالمسائل الفلسفية أشبه بسلم الإنقاذ للفلسفة الأرسطية والإسلامية بعد الهجمات عليها على حد سواء وقد تمكن ابن رشد من التفرقة بين نظرية المعرفة الإلهية ونظرية المعرفة الإنسانية، كما فاجأ الجميع" بتفرقته الشهيرة بين عالم الأمر وعالم الخلق، أى بين عالم الغيب وعالم الشهادة، وذلك على غرار منهجه فى البرهنة على العقائد الدينية" [٢]

وفى الحقيقة فإن مشاكل عويصة تقابل الباحث عن موضوعات المعرفة عند ابن رشد، وبخاصة أن الغالبية العظمى من الباحثين يخلطون بين المعرفة ذاتها وبين موضوعاتها وكيفية إكتسابها ومصادرها مما يجعل الباحث فى حيرة من أمر هؤلاء وأولئك، وقصة إتصال العقل الهيولانى بالعقل الفعال، أو العقل الفعال بالمنفعل إلى غير ذلك من التعبيرات والمصطلحات التى فيها من الغموض أكثر مما فيها من الوضوح والبيان ولذا سنبحث عن باقى موضوعات المعرفة عند ابن رشد.

---

[١] المصدر السابق ص ٦٩.

[٢] د/ محمود قاسم –نظرية المعرفة عند ابن رشد وتأويلها لدى توماس الأكوينى ص ١١ الأنجلو المصرية.

الموضوع الثانى عالم الغيب:

ونعنى به العالم الذى لاتدركه الحواس ولا يستقل بمعرفته العقل الإنسانى دون مساعدة وسمى غيبا لأنه يغيب تماما عن كافة الحواس ولاسبيل إلى معرفته إلا السمع المأخوذ من النص المنزل قرآنا كان أو سنة مطهرة، كذات البارى تعالى من حيث إستقلال الصفات بها على وجه يراد وكخلق الله تعالى للعالم وكونه فى زمان أم لا وكيفية الخلق المستمر أو الخلق المباشر وكيفيا صدور الكثرة عن الواحد ووجود التعدد من الواحد ثم قضية العلم الإلهى إلى غير ذلك من الوجوه.

وابن رشد فى كل هذا يقوم على أمرين لاثالث لهما:

الأول : إثبات الغيب بكل مايحويه معنى كلمة الغيب.

الثانى : التفرقة بين مضامين عالم الغيب وعالم الشهادة وإن إتفقت الألفاظ فى التعبير عن كل منهما كالتفرقة بين المعرفة الإنسانية والمعرفة الإلهية من حيث أن الأولى كسبية تقوم على الإدراك الجزئى والفهم الخاص والثانية تقوم على الإحاطة الكاملة والإنكشاف الشامل التام، وكذلك بين مايطلق من ألفاظ الحياة والعلم والسمع حتى إعتبرت صفات فهى وإن إتفقت فى اللفظ والدلالة إلا أنها تختلف بإختلاف الإضافة فإذا وصف بها الخالق العليم كان لها من المعانى مايتناسب مع الموصوف بها من حيث الكمال والإستقلال وإذا وصف بها غيره كان لها من المعانى مايناسبها من العجز والنقصان.

وتلك التفرقة جعلت ابن رشد موضع الشك والريبة من خصومه حتى أتهم بأن له من القدرة الجدلية مايمكنه من إستغلالها إلى أقصى حد متاح ، وقد رأينا الرجل فى القمة من الجدليين، رغم أنه ينفى هذه

الصفة عن نفسه وشيعته، والناظر فى نقوده السابقة لقضية ودليلها يراها كلها قائمة على المنطق الجدلى ليس غير"[١] وتلك التهمة رماه بها وغيرها الكثيرون وإن كنت أرى أنه لاسبب لها إلا التعنت ومواجهة العقل المنظم بالتشدد، تمشيا مع ماتوارثته "الكثرة الغالبة من عامة المثقفين من -أراء الامام الغزالى" [٢] بينما نرى ابن رشد أمام محبيه "طاقة هائلة لاتعرف الملل وحيوية دافقة تمقت الخمول والكسل، وقوة وثابة يستهويها الخلق والإنتاج" [٣].

ومما لاشك فيه أن عالم الغيب هو من الموضوعات التى تعلو فوق "مستوى العقل البشرى وتدرك بالسمع وحده ولايملك العقل أن يكشف عن حقيقته دائما فى مقدوره أن يقدم أدلة عقلية لإثبات وجوده -أمام- هذه الموضوعات [٤] وهى الغيبيات التى ليست من عالم الشهادة على الإطلاق وبالتالى فإن موضوعات المعرفة الإنسانية تنحصر فى نوعين لاثالث لهما:

النوع الأول عقلى وهو القائم على التأمل ونعنى به عالم الوجودالمرئى

النوع الثانى: شرعى وهو القائم على النص المنزل ونعنى به عالم الغيب وقد سلم ابن رشد بهما ودافع عنهما بل وأكد على كل منهما بحيث يمكن أعتباره سياقا إلى ذلك الفهم من غيره وقائدا فتح الطريق لمن جاء به وان كان هو المسرع اليه والمقنن لقواعده الميهئ الطريق لمن جاء بعده

---

[١] الدكتور/ محمود محمد مزروعة -أضواء على المنهج النقدى لابن رشد ص ١٨٧ دار الطباعة المحمدية الطبعة الأولى.

[٢] الدكتور/ رفقى زاهر -قضية التكفير عند الغزالى ص ٥ الطبعة الأولى.

[٣] الدكتور/ رفى زاهر - فيلسوف الأندلس ابن رشد ص ٢٨.

[٤] الاستاذه الدكتوره/ فوقية حسين محمود -مدخل إلى الفكر الإسلامى ص ٢٣٨ بتصرف.

الفصل الرابع

مناهج المعرفة عند ابن رشد

تختلف مناهج البحث فى المعرفة الانسانية، بإختلاف أنواع المعرفة ذاتها، فإذا كانت المعرفة إستقرائية كان منهجها إستقرائيا، وإذا كانت تجريبيه كان منهجها تجريبيا، وإذا كانت رياضية كان منهجها كذلك ومن هنا وجب إثبات تقديم محدد عن أنواع المعرفة من خلال مناهجها لنخلص إليها عند ابن رشد فيلسوف الأندلس كمنهج خاص فى المعرفة الانسانية.

والناظر فى المعرفة الانسانية يرى المناهج فيها تكاد أن تنحصر فيما يلى:

١- المنهج المثالى. ٢- المنهج الحسى المادى.

٣- المنهج النقدى التقويمى. ٤- المنهج البراجماتى العملى.

٤- المنهج الصوفى الإشراقى. ٦- المنهج الإستدلالى القرآنى.

٧- المنهج الرياضى. ٨- المنهج المنطقى.

٩- المنهج الإستنباطى. ١٠- المنهج الإستقرائى.

١١- المنهج الإستردادى. ١٢- المنهج الجدلى.

ولسنا نقدم لها فى هذه الدراسة حصرا، كل مانريده هنا هو الحديث عن أقرب المناهج فى نظرية المعرفة عند الفلاسفة فقط، تاركين بقية المناهج لدراسة أخرى تخصص لها وقتا آخر يتسع لها وينفرد بها من

ثم فإن بيان منهج المعرفة الإنسانية عند ابـن رشـد لايكـاد البـاحث يقـع فيـه على طلبته من خلال الدراسات المدونة والتى أتيح للباحث أن يطلـع عليهـا لأن أغلب الدراسات تقر بأنه كفيلسوف معرفى ومرة أخرى بأنه كفيلسـوف أصولى وجودى يؤمن بقدم العالم مرة ويدافع عنـه مـرات، ومـرة يجعلونـه يعيش فى أحضان التفرقـة بيـن العقـل الهولانـى والعقـل المـادى، أو العقـل الفعال، وكأن ابن رشد لاهم له إلا أن يعيش تلك الرحلـة التوفيقيـة الطويلـة تحت عباءة الشارح الأكبر.

ومن الباحثين عدد قليل تفهم فلسفة ابن رشد، وكتب عنهـا وتحـدث عن المعرفة عنده كنظرية وأبان عن دقتهـا وصلابتـه كبـاحث أو فيلسـوف، ورغم قلة عددهم فإن لهم من التلاميذ الجم الغفير ولأفكارهم مساحة طويلـة تتربع على ساحات الزمن وفى كافة البلدان والمدن، وكلها تهتف بابن رشـد كفيلسوف واثق من نفسه يخطو إليهم بأفكـاره فـى تـؤدة وأنـاة، ليضـع حـدا فاصـلا بيـن المعرفـة الإنسـانية والمعرفـة الإلهيـة، وبيـن المعرفـة المكتسـبة وتلك التجلية النورانية الإلهية التى لاتخضـع لمقيـاس الهـوى ولاتعيـش فـى حنايا التخلف والتدهور والإنحلال، فما هى مناهج المعرفة عنده؟

والجواب هو أن

الذى يفهم من فلسفته هـو إيمانـه المطلـق بالإسـتقراء التـام كمنهـج للمعرفة، وذلك ماتحدثت عنه الكتب الرشدية علـى إختـلاف ألوانهـا وسـمته قياسا منطقيا أو برهانيات، وهاهو مـن أول أمـره يقـول "فواجـب أن نجعـل نظرنا فى الموجودات بالقياس العقلى، وبين أن هذا النحو مـن النظـر الـذى دعا إليه الشرع وحث عليه هو أتم أنـواع النظـر بـأتم أنـواع القيـاس، وهـو المسمى برهانا" [1].

---

[1] فصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة من الإتصال ص ٢٣ تحقيق الدكتور/ محمد عمارة.

إذن ابن رشد يعلن أن منهج المعرفة عنده يبدأ بالقياس العقلى الذى يبدأ من الأفراد إلى الحكم الكلى ومن الجزئيات إلى الحكم العام وهو مايسمى إستقراء عند علماء التجربة واصحاب المنطق الحديث لأن القياس العقلى هو الذى يلتزم به الفقية وهو أعلم من القياس المنطقى لأن القياس المنطقى هو " قول مؤلف من قضايا متى سلمت لزم عنها شىء آخر لذاتها[١] ويقول عند الامام الأحضرى صاحب المتن المعروف بالسلم.

" إن القياس من قضايا صورا مستلزما بالذات قولا آخرا" [٢]

ومعروف أن القياس المنطقى لايلزم "أن تكون قضاياه صادقة فى الواقع ونفس الأمر، بل يكفى أن تكون مسلمة من السامع لها" [٣] وبالتالى فالقياس المنطقى – رغم أن المنطق آلة قانوينة تعصم مراعاتها الذهن من الوقوع فى الخطأ – إلا أنه لايستلزم مطابقه قضاياه للواقع الخارجى، وليس ذلك هوهدف الفيلسوف المسلم.

من ثم فإن القياس العقلى ففهى يهدف إلى معرفة سليمة منظمة، وأصولى يهدف إلى حركة عقلية تتولد عنها قوة فكرية بها تتم المقايسة تتحقق الغاية المنشودة من القياس العقلى الفقهى الأصولى ، ولذلك نراهم يسمونه قياس الطرد أو قياس العكس فقياس الطرد عندهم يقوم على "تجميع الأشياء المتشابهة فى قياس الطرد" أما قياس العكس فهو يقوم على الفصل بين الأشياء المتعارضة فى قياس العكس كما أن وظيفته تحقيق الأحكام السلبية والإيجابية لحال معين على حال آخر معين بواسطة العلاقة الكائنة

---

[١] د/ عوض الله حجازى المرشد السليم فى المنطق الحديث والقديم ص ١٢٣.

[٢] الامام/ شهاب الدين أحمد الملوى –شرح السلم ص ٥٦، ٥٧.

[٣] الدكتور/ محمد شمس الدين إبراهيم تيسير القواعد المنطقية جـ٢ ص ٨.

بينهما" [١] وهذا رأى ابن تيمية أحد علماء المسلمين أصحاب القياس العقلى، وهو قياس شرعى ألف ابن تيمية كتابا خاصا به وسماه [٢] القياس، بل أن القياس العقلى صار جزءا من مصادر الشريعة الإسلامية التى تؤخذ مما يلى:

١- الكتاب الكريم. ٢- السنة النبوية المطهرة.

٣- الإجماع. ٤- القياس. ٥- الإجتهاد.

والقياس العقلى الأصولى هو "مشاركة مسكوت عنه لمنصوص على حكمه الشرعى فى علة هذا الحكم وإلحاقة به فيه" [٣] كما أن قياس الشرع يصير قياسا -شرعيا- يجعل صاحب الشريعة قياسا، فيكون موقوفا على إختياره فإذا إستمر قياس جاز أن يصير بجعل الشريعة دلالة وأمارة على الحكم [٤] إذن ابن رشد إعتبر القياس العقلى هو أهم منهج للمعرفة الإنسانية عنده بحيث ينتقل من القياس إلى الإستقراء ولذا نراه يستخدم طريق السبر والتقسيم عند الأصوليين وهو الذى أخذه المنطق الحديث على يد "إستيوارارت" مل "وسماه طريقة التحصيل، وطريقة البواقى" ثم إن ابن رشد فى إستخدامه للإستقراء العلمى لم يستثن شيئا لامن الحقيقة ولا من المجاز كما أنه إهتم بالتفويض ولم ينس التأويل، بل إدخل عليهما منهجه فى المعرفة الإنسانية وإستمدادها من القياس والإستقراء بأوسع ما فيهما من أبحاث العلة والمعلول والسيروالتقسيم،

---

[١] الدكتور/ محمد حسنى الزين –منطق ابن تيمية ومنهجه الفكرى ص ٩٥.

[٢] القياس فى الشرع الإسلامى لابن تيمية وقد قامت بطبعه المطبعة السلفية.

[٣] د/ على حسب الله أصول التشريع الإسلامى ص ١٣٢ دار المعارف.

[٤] الامام الجوينى الكافية فى الجدل ص ١٤٨ تحقيق د/ فوقية حسين محمود.

وقياس الغائب على الشاهد ودوران العلة مع المعلول إلى غير ذلك من الأبحاث الإسلامية الدقيقة.

من هنا هب ابن رشد يمدح أصحاب القياس العقلى وأنهم قد رفع الله عنهم الشرور والجهالات لأنهم "سلكوا مسلك النظر، ورغبوا فى معرفة الحق، وذلك أن الله تعالى -دعا الجمهور إلى معرفة الله من طريق وسط، إرتفع عن حضيض المقلدين، وإنحط عن تشغيب المتكلمين، ونبه الخواص على وجوب النظر التام فى أصل الشريعة [(1)] وبالتالى فهم أصحاب السعادة لأنهم تلمسوا منهجا معرفيا يقوم على القياس العقلى الشرعى الذى يتعلق به فيلسوف قرطبه أبو الوليد ابن رشد.

ومن الممكن تحديد مناهج المعرفة عند ابن رشد فيما يلى:

١- المنهج الإستقرائى. **٢- المنهج الإستدلالى.**

٣- أصول التفسير. **٤- أصول الحديث الشريف.**

ولنا على ذلك شواهد عديدة لكل منهج من تلك التى إعتمدها ابن رشد وتعلق بها.

أما عن الأول: "المنهج الإستقرائى" فقد برع فيه ابن رشد وأجاد من خلال كتابيه الشهيرين فصل المقال ومناهج الأدلة، كما بين وجوب ذلك المنهج على الفقيه المسلم والمفكر المسلم.

---

[1] فصل المقال ص ٦٧ تحقيق الدكتور/ محمد عمارة.

وعن الثاني الإستدلالي: "فقد كان مقدمة لإستقرائه وتكملة له وقد أفاض في ذلك ابن رشد من خلال نصوصه.

وعن الثالث: نصوص القرآن الكريم، فذلك بين من كثرة إستشهاده بالآيات القرآنية فيما يتعلق بالنظر والتأمل والتفكير، مثل قوله تعالى: فإعتبروا ياأولى الألباب، فإعتبروا ياأولى الأبصار.

وعن الرابع: نصوص السنة المطهرة، فقد إستفاد ابن رشد من ثقافته التامة في الحديث الشريف وإستخدامه له على أوسع نطاق في نواحيه الأصولية ولذلك نجد ابن رشد يتمسك بها جميعا بحيث يمكن إعتبار تلك المناهج جميعا قد مال إلى إستخدامها ابن رشد. بل واستخدامها فعلا بحيث صارت علامة فكرية مميزة لابن رشد على من سواه ٠ فما الهدف من المعرفة عنده ؟

الفصل الخامس

الهدف من المعرفة عند ابن رشد

أ- دراسة الجزئيات بغرض الوصول إلى حكم كلى عام

ب- إستخراج حكم دينى.

جـ- الدفاع عن العقيدة من خلال معالجة آفات المجتمع.

د- الوصول إلى معرفة الله بطريق يقينى.

يتفق الدارسون جميعا على أن لكل علم هدفا أو غاية، حتى أن المناطقة والفلاسفة يجعلون تلك الغاية علة ويسمونها "العلة الغائية" وهى التى قام لأجلها الفاعل بإحداث مافعله إيجابا أو سلبا فعلا أو كفا عن الفعل ذاته، بحيث تكون تلك العلة الغائية بمثابة ركن هام لأجله يتم الفعل أو الكف ويقال عليها جميعا العلل الأربع، ويعنون بها:

١- العلة الفاعلية. **٢- العلة الغائية "**

يصف ابن تيمية العلة الغائية بأنها علة العلل لتقدمها علما وقصدا وأن الفاعل لايكون فاعلا إلا بها، وأنها كمال الوجود وتمامه، ولهذا قدمت فى قوله "إياك نعبد وأياك نستعين" [(١)].

٣- العلة المادية. **٤- العلة الصورية.**

---

[١] د/ مصطفى حلمى -قواعد المنهج السلفى ص ١١٨ وفتاوى ابن تيمية جـ ١٨ ص ٣٠٩.

وتلك العلل الأربع هى التى يطلقون عليها اسم "علتى الوجود والماهية" والعلة المستجمعة، ورغم أن الهدف بالنسبة لكل ماسبق هو مجرد علة غائية داخله في الكثير من العلل إلا إنها هنا يمكن إعتبارها علة مؤثرة،لأن الأمر هنا يتعلق بالغاية من المعرفة الإنسانية فى حد ذاتها، وبالتالى ستنحصر الدراسة حول الهدف من المعرفة الإنسانية عند ابن رشد فقط.

بيد أن الباحث يرى أنه من اللازم أو الضرورى عليه أن يتحدث عن الهدف كمقدمة ضرورية لدى الباحث وبيان ما إذا كانت المعرفة تهدف إلى مايلى من عدمه:

١- معرفة الله تعالى، وهى أول الواجبات عند الامام الأشعرى.

٢- وجوب تلك المعرفة.

٣- النظر للوصول إلى تلك المعرفة ويسمونه أول الواجبات، عند علماء الكلام، "لأن النظر شرط كمال، فمن كان فيه أهلية النظر فقد ترك الأولى "كما أن: "النظر الموصل لمعرفة الله تعالى واجب بالإجماع [١].

وقد إتفقت كلمة علماء العقيدة على أن :

١-أول واجب على المكلف هو قصد المعرفة.

٢- أول واجب وسيلة قريبة، النظر، ووسيلة بعيدة القصد إلى النظر [٢]
من هنا لزم إثبات أن المعرفة عند ابن رشد تهدف إلى مايلى:

---

[١] الشيخ إبراهيم البيجورى -حاشية البيجورى على جوهرة التوحيد ص ٢١ طبعة المطبعة الأزهرية وبها مشها تقريرات العلامة الأجهورى.

١- دراسة الجزئيات الدينية والعلمية :

وذلك بقصد الوصول إلى حكم كلى عام يشبه الإجماع أو القانون لأن دراسة تلك الجزئيات على إنفراد عملية إستقرائية.

٢-إستخراج حكم دينى :

وهو يتم بعد إستنتاجه من مجموعة مقدمات متواضع عليها كما يفعل علماء الأصول فى الفقه الإسلامى، حيث يستخرجون حكما كليا يمثل قاعدة عامة كقولهم، الخمر مسكر، والعنب مسكر والتمر مسكر، وكل مسكر حرام، إذن كل ماكان مسكرا أو من قبيله أو يؤدى إليه فهو حرام.

٣- الدفاع عن العقيدة الدينية:

وذلك بعد معرفة علل المجتمع وآفاته وكيفية حصرها وتجميعها ثم طرق الوقاية منها والعلاج من الأزمات التى تؤدى إليها، دفاعا وبيانا شرحا وتحليلا، كل ذلك من خلال فهم كامل لطبيعة تلك المعرفة وحيثياتها جميعا.

٤- معرفة الله تعالى بطريق يقينى:

وهى لاتكون عن تقليد أو مشابهة للغير أو محاكاته، وإنما عن إعتقاد سليم، وتفكير راشد وبيان واضح للنصوص الدينية المحددة ولاتخرج المعرفة فى أهدافها عن مامر ذكره فى كافة الوجوه.

---

[٢] المصدر السابق ص ٢٣.

بيد أن ابن رشد لم يقف عند هذا الحد بل تجاوزه إلى حيث يمكن أستخراج قواعد أخرى تحمل أهدافا إضافية بجانب مامر ذكره، "لأن الغاية التى ترمى إليها جميع الشرائع ويرنو إليها العقل البشرى فى شوق وشغف ويهدف إليها الفلاسفة من بحوثهم المستفيضة ومجهوداتهم المتواصلة هى غاية واحدة وهى معرفة السر الأسمى لهذا الوجود وما إنبثق عنه من أسرار ثانوية" [1] وييمكن هذا السر فى التعرف على ذات الله تعالى وصفاته ٠

نتائج حتمية

بعد هذه الدراسة العجلى لنظرية المعرفة عند ابن رشد نصل إلى نتائج حتمية ضرورية منها:

١- إن المعرفة بحث من مباحث الفلسفة حيث تنحصر الفلسفة بوجه عام فى مباحث ثلاثة :

أ- مبحث الوجود　　ب - مبحث المعرفة　　جـ- مبحث القيم

كما أنها ترادف العلم عند المناطقة وفى المعاجم والمصطلحات وتشترك معه فى الدلالة عند البلاغيين وعلماء اللغة.

٢- أن مصادر المعرفة عديدة منها :

أ - المصدر الحسى　　ب - المصدر العقلى

جـ - المصدر الإلهامى　　د - المصدر الكشفى الإشراقى

---

[1] الدكتور/ محمد غلاب -المعرفة عند مفكرى المسلمين ص ٣١١.

هـ- النص المقدس قرآنا كريما أو سنة مطهرة.

٣- بروزالنظر بمعنى التأمل العقلى فى فلسفة ابن رشد بدرجة تكاد أن تطبع الفلسفة الرشدية كلها، حتى إنها تركت أثرها على كثير من المفكرين بعده سواء كانوا فقهاء أم علماء كلام أو غيرهم.

٤- أن موضوعات المعرفة الإنسانية تنحصر فى أمرين.

أ- عالم الوجود

وأعنى به عالم الشهادة ويدخل ضمن هذا الوجود وجود الله تعالى حيث أنه وجود لا مفتتح لأوله، أولا أول له، وهو يخالف الوجود الذى له أول ومفتتح من وجوه كثيرة، يعرفها الباحثون المتخصصون، وطريقه العقل.

ب- عالم الغيب:

وهو العالم الذى يتعلق بالسمعيات والروحانيات وما لاثبوت له إلا من خلال النص المنزل المعصوم كالبعث والنشروالحساب واليوم الآخر، كما أن صفات الله تعالى تدخل هذا اللون من موضوعات المعرفة.

٥- **التفرقية بين المعرفة الإنسانية والمعرفة الإلهية** ، وإن إتفقتا فى المسميات إلا أنهما تختلفان فى الدلالات إختلاف مابين القوى القاهر الله سبحانه وتعالى وبين المخلوق الضعيف وهو ماسوى الله.

ومع هذا فإن الموضوع الأول عند ابن رشد موضوع معرفى عقلى قائم على التأمل فى العالم المشاهد بالعقل أو الحواس،

والنوع الثانى شرعى قائم على النص المقدس المنزل، وقد سلم ابن رشد بهما ودافع عنهما وسبق الكثيرين إلى إستخدامهما.

٦- إنتهى ابن رشد إلى وضع تصور كامل لمناهج المعرفة وحدد تلك المناهج بحيث ينظر المتأمل فيها فيراها تنحصر فيما يلى:

١- مناهج إستدلالية. ٢- مناهج إستقرائية.

٣- مناهج جدلية. ٤- مناهج تأملية.

٥- مناهج إستبطانية. ٦- مناهج قرآنية.

٧- مناهج رياضية. ٨- مناهج إستنباطية.

٩- مناهج وهمية ظنية.

وإستخدم منها المنهج الإستقرائى الإستدلالى وسما به إلى حيث قارب الجوزاء وترك له أثرا كبيرا فى نفوس متابعيه ومن ساروا على دربهم.

٧- تحدث ابن رشد عن وسائل المعرفة وأكد أنها أما حسية أو عقلية وتلك تفرقة حاسمة بين المصادر الخاصة بالمعرفة والوسائل، لأن الكثير من الباحثين لايكادون يفرقون بينها إلا تفرقة ضئيلة لاتكاد تذكر إلا أن ابن رشد قد فصل ذلك طويلا وبأسلوب يقبله العقل ويحترمه المنطق، وبالتالى ترك ذلك الأثر الرشدى أثرا أكبر منه على الفلاسفة المحدثين والمعاصرين على حد سواء.

٨- خرج ابن رشد من دراسته للفلسفة بمقدرة فلسفية فائقة مكنت له من الخروج بعيدا عن دائرة التقليد والمحاكاة إلى دائرة الإبتكار والجدة بعد المعاناة.

٩- أكد ابن رشد على أن الغرض من المعرفة الإنسانية عنده ينحصر فيما يلي :

١- معرفة الله تعالى بطريق يقيني لايقبل الجدل أو الإنهيار، كما أنه يرتفع عن التقليد الذي يلقى بصاحبه مرة أخرى إلى الحضيض بعد التقليد.

٢- الإيمان المطلق بالله تعالى وبما له من جميل الصفات وكامل الجلال والإكرام، مع التفرقة الحاسمة بين كل ماالله وما يتبعه من صفات كمال وبين غيره وما يستلزمه من صفات نقص وضعف وخذلان.

٣- معرفة الحدود العقلية للعقل الإنساني، سواء من ناحيته كعقل أو من ناحية المعقولات التي يحاول إثباتها أو الإحتفاظ بها، وبيان أن العقل بإمكانيته أقل من المعقولات لتعددها وبالتالي فعالم الغيب لايأمن العقل على نفسه فيه أن هو خاض بحر التأملات دون مساعدة من أحد.

٤- أن جميع الشرائع السماوية الحقة قد حثت على إتباع هذا المنهج المعرفي الذي يهدف إلى معرفة السر الأسمى في هذا الوجود، العامر الجنبات وتلك الأسرار التي يطويها في حناياه من آن لآخر يكشف عنها الباحثون ويطالعها الدارسون.

١٠- تأكيد ابن رشد على أن المعرفة درجات وأن أرقى درجاتها من حيث المصدر هو المعرفة الناشئة عن النص المنزل المقدس لأنه وحى معصوم وبالتالى فهو كمصدر للمعرفة لايقبل الشك ولايخضع للخطأ لأنه كلام رب العالمين.

أما من حيث الموضوع فأرقاها هو المعرفة بالله تعالى وسائر صفاته سواء كانت من صفات الجلال أم من صفات الكمال لأن الموضوع فيها هو معرفة إلهية تخضع لصفات الخالق من جلال وكمال ، تبارك اسم ربك ذى الجلال والإكرام.

أما إحترام ابن رشد للمعرفة العقلية كمنهج فهذا ماتطلعنا عليه مؤلفات ابن رشد وأبحاثه، بحيث لايجد المرء بدا من التسليم لابن رشد بإنه كان فيلسوفا نادرا فى كل شىء، بداية من مطلع شبابه ومهده الشفيق حتى شيخوخته، ولحده الد قيق، ولئن كان ابن رشد قد ترك قضايا معرفية عديدة، فإنه مما تجدر الإشارة إليه هو أن ابن رشد فيلسوف مسلم غيور على دينه أصولى متمكن من فنه فيلسوف جدير بحمل لقبه، طبيب باشر بنجاح مهام عمله وأعباءا كثيرة جرت عليه حنق أعدائه ولدات خصومه ومع هذا نالت إحترام العقلاء، وحظيت بإهتمام المفكرين، رحم الله ابن رشد فى الخالدين.



الملحق الأول

الدراسات السابقة عن ابن رشد

اسم المؤلف	اسم الكتاب
أ.د/ محمود محمد مزروعة	أضواء على المنهج النقدى لابن رشد
أ.د/ محمود قاسم	نظرية المعرفة عند ابن رشد وتأوليها لدى توماس الأكوينى
أ.د/ محمود قاسم	ابن رشد وفلسفته الدينية
أ./ أرنست رينان	ابن رشد والرشدية ترجمة الإستاذ عادل زعتر
أ./ عبده الحلو	ابن رشد فيلسوف المغرب
أ./ فرح انطون	ابن رشد وفلسفته
أ.د/ محمد عبد الرحمن بيصار	الوجود والخلود فى فلسفة ابن رشد
الآب/ يوحنا قمر	ابن رشد – طبعة بيروت
أ.د/ رفقى زاهر	فيلسوف الأندلس ابن رشد
أ.د/ رفقى زاهر	فلسفة ابن رشد بين التبعية والإستقلال دكتوراه لكلية اصول الدين جامعة الأزهر بالقاهرة
أ.د/ رفقى زاهر	بين الغزالى وابن رشد فى المسائل

الثلاث

أ.د/ بركات عبد الفتاح دويدار	ابـن رشـد منهجـه وعقيدتـه دكتــوراه بكلية اصول الدين جامعة الأزهر.
أ./ محمد فضل الله نور الدين	بين الغزالى وابـن رشـد فـى المسـائل التى كفر الغزالى بها الفلاسفة
أ./ عباس محمود العقاد	ابن رشد –نوابغ الفكر العربى

مصادر البحث

رتبت المصادر حسب ورودها بهامش البحث نظرا لضيق الوقت

مؤلف	الكتاب
	١ - القرآن الكريم
أزفولد كوبله	٢- المدخل إلى الفلسفة
الامام جلال الدين السيوطى	٣ - صون المنطق والكلام عن فنى المنطق والكلام
الامام جلال الدين	٤ - الأشباه والنظائر
الامام ابن القيم	٥ - مفتاح السعادة
الامام القشيرى	٦ - الرسالة القشيرية
الامام ابن القيم	٧ - مدراج السالكين
د/ محمد شمس الدين إبراهيم	٨ - تيسير القواعد المنطقية شرح الرسالة الشمسية
الامام/ الجرجانى	٩ - التعريفات
الامام/ الزمخشرى	١٠ - أساس البلاغة
الفيروز ابادى	١١ - القاموس المحيط
الشيخ/ محمد على الصابونى	١٢ - صفوة التفاسير
الامام/ ابن رشد	١٣ -فصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة تحقيق الاستاذ/ مصطفى عبد الجواد.

الامام ابن رشد — ١٤ – الكشف عن مناهج الأدلة فى عقائد الملة

دكتور/ محمد غلاب — ١٥ – المعرفة عند مفكرى المسلمين

رينيه ديكارت — ١٦ – مقال عن المنهج ترجمة الاستاذ محمود الخضيرى

دكتور/ سليمان دنيا — ١٧ – التفكير الفلسفى الإسلامى

دكتور/ قنديل محمد قنديل — ١٨ – أساس التحسين والتقبيح لدى الإسلاميين ومقارنته بمذهب كانت دكتوراه بكلية أصول الدين.

د/ فوقية حسين محمود — ١٩ – مدخل إلى الفكر الإسلامى

دكتور/ محمود قاسم — ٢٠ – نظرية المعرفة عند ابن رشد وتأويلها لدى توماس الأكوينى.

دكتور/ محمود محمد مزروعه — ٢١ – أضواء على المنهج النقدى لابن رشد

دكتور/ رفقى زاهر — ٢٢ – قضية التفكير عند الغزالى فيلسوف الأندلس ابن رشد

دكتور/ عوض الله حجازى — ٢٣ – المرشد السليم فى المنطق الحديث والقديم

الإمام/ شهاب الدين الملوى — ٢٤ – لسلم

٢٥ – ابن تيمية وفهمه الفكرى	دكتور/ محمد حسنى الزين
٢٦ – القياس فى الشرع الإسلامى	ابن تيمية
٢٧ –أصول التشريع الإسلامى	الدكتور/ على حسب الله
٢٨ – الكافية فى الجدل تحقيق أ.د/ فوقية حسن محمود	الإمام الجوينى
٢٩ – قواعد المنهج السلفى	الدكتور/ مصطفى حلمى
٣٠ – حاشية البيجورى على جوهرة التوحيد	الشيخ/ إبراهيم البيجورى

الفهرس